تعليم الكبار

إن تعليم الكبار قديم بقدم الإنسانية على مستوى الفعل والممارسة. فقد مارست العديد من المجتمعات القديمة تعليم الكبار بدرجات مختلفة و أنماط متعددة.
طورها العديد من الفلاسفة بطريقتهم الخاصة نذكر من بين هذه المجتمعات الحضارة اليونانية التي اعتمدت الحوار السقراطي كطريقة للتعليم .
تتمحور هذه الطريقة حول طرح سؤال أو مشكلة من قبل المعلم أو أحد المتعلمين و يحاول بقية المتعلمين تركيز تفكيرهم و خبرتهم للوصول إلى الإجابة أو الحل.
لكن في العهود القديمة كانت فئات معينة فقط لها الحق في التعليم و التعلم و مع تطور الإنسانية و ظهور الدول و المجتمعات ظهرت المدارس بمختلف أطوارها و برز مفهوم المدرسة الحديثة و قسم التدريس إلى مراحل حسب الفئة العمرية من الحضانة إلى التعليم الثانوي بمختلف تخصصاته و بدأت المدرسة تلعب دورا هاما في المجتمع خاصة مع قانون المدرسة للجميع. لكن بالرغم من إصدار هذا القانون الدولي نجد فئة لم يسعفها الحظ للالتحاق بالمؤسسات التعليمية لأسباب عدة . واستدراكا لهذا الخلل ظهرت في البداية مراكز لمحو الأمية ثم مؤسسات تعليمية بمختلف مستوياتها تعني الأفراد الذين لم يتابعوا التدريس النظامي.

عندما نتكلم عن التعليم فإننا نربطه عموما بالتعليم النظامي للأطفال و المراهقين والشباب.وبالرغم من أن هذه الفئة هي المستفيد ا لرسمي من التعليم بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان، فالبالغين كذلك لهم الحق في التعليم لأن الحق في التعليم ينطبق على الجميع بغض النظر عن السن.

يعتبر تعليم الكبار و تعلمهم من المكونات الأساسية للتعلم مدى الحياة و تشمل هذه المكونات جميع أشكال التعليم و التعلم التي تهدف إلى ضمان مشاركة البالغين في المجتمع و في عالم الشغل.لكن التحاق فئة الكبار بالتعليم طرح إشكاليات عدة تتمحور حول البرامج التعليمية، الطرق البيداغوجية، سيكولوجية الراشدين و تكوين معلم الراشدين ....الخ

تعريف تعليم الكبار

أول تعريف لتعليم الكبار جاء به مؤتمر اليونسكو(1949 الدنمارك) يقصد به أشكال التعليم الذي يحضرها طواعية الأفراد البالغين وكان هذا المفهوم مرادفا لمحو الأمية.

أخذ تعليم الكبار مفهوما أوسع و أشمل ينص على أن تعليم الكبار لم يعد مرادفا لمحو الأمية أو الدراسات اللبرالية أو التدريب المهني و إنما أصبح شاملا لأي نشاط منظم(ثقافي أو مهني أو تعليمي أو تدريبي) للكبار على مستوى يؤدي إلى إعداد الفرد ليلعب دورا نشيطا في بيئته (مؤتمر منريال بكندا 1970). ثم عرف في لقاء نايروب (بكينيا1976) على أنه

"نمط من التعليم الذي يتم خارج نطاق المؤسسة التعليمية النمطية؛و بهذا يتسع جمهوره فيشمل الأميين الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة أساسا لأنهم لم يلتحقوا بالمدرسة مند البداية و يشمل كذلك أولئك الذين دخلوها لفترة أو فترات في مرحلة أو أكثر من مراحلها.و هذه الجماعات تحتاج في مستوياتها المختلفة إلى الانتفاع بنشاط تعليم الكبار و برامجه المتنوعة و أساليبه المتعددة و بما يقدم من خلالها من خدمات متصلة بالتعليم الأساسي. أو باستكمال بعض المراحل التعليمية أو التأهيل أو تجديد الخبرة أو تنويعها أو تغييرها تكيفا مع الحاجات الفردية والاجتماعية "

كما جاء في نفس اللقاء ما يلي"إن عبارة تعليم الكبار تشمل على البنية الكلية للعملية المنظمة حيث ينمي الأشخاص(التي تعتبرهم مجتمعاتهم كبارا أو راشدين) قدراتهم ويثرون معرفتهم و يعملون على الارتقاء بمؤهلاتهم الفنية أو المهنية و تحويلها نحو وجهة جديدة و يحدثون تغيرات في اتجاهاتهم أو سلوكهم في إطار المنطق المزدوج للنمو الشخصي الشامل والمشاركة في التنمية الموازية والمستقلة اجتماعيا و اقتصاديا و ثقافيا. ولا ينبغي اعتبار تعليم الكبار شيئا قائما بذاته بل يجب اعتباره فرعا و جزءا مكملا من خطة شاملة للتربية و التعليم المستمر مدى الحياة".

إذن تعليم الكبار هو :

- مجموعة عمليات التعليم الرسمي أو غير الرسمي التي تساهم في تنمية الكفاءات للراشدين الذين لم يلتحقوا بالتعليم النظامي.

- استدراك التعليم الابتدائي و الثانوي لمن لم يلتحقوا به لأسباب عدة.

- تنمية الكفاءات القاعدية مثل القراءة والكتابة و الحساب.

- تنمية المعارف أو الخبرات التعليمية.

- تطوير مهارات و خبرات جديدة للتكيف مع الظروف المتغيرة لسوق العمل أو لتغيير الوظائف أو للتطور المهني المستمر.

- مواصلة التعليم من اجل التنمية الشخصية.

- المشاركة الكاملة في الحياة الاجتماعية والعمليات الديمقراطية.

كما يفيد تعليم الكبار في تنمية المهارات و المعارف اللازمة للمشاركة في المجتمع اقتصاديا و ثقافيا على أوسع نطاق خاصة في برامج التنمية المستدامة لأفق 2030. الأفق الذي لديه أهداف كثيرة في تعليم الكبار والتي تلتزم بها جميع الدول (unesco2015) .

أهمية نظريات التعلم في تعليم الكبار

النظرية السلوكية

ظهرت سنة1912 على يد واطسون(أشهر مؤسسيها). تتمركز هذه النظرية حول مفهوم السلوك، المثير و الاستجابة، التعزيز أو العقاب والتعلم.

النظرية تؤكد على أن كل معرفة تقدم للتلميذ يجب أن تتوفر فيها شروط قادرة على إثارة اهتمامه وميوله و حوافزه. و إن ذلك يتم عبر تفكيك و تقسيم المادة الدراسية إلى أجزاء وفق معطيات و وقائع يمكن وضع علاقة بينها و من ثمة تقديمها إلى التلميذ بتسلسل و تدرج متكامل و إن المدة الدراسية يجب أن تتناسب و مستوى نمو التلميذ العقلي و البدني.

النظرية القشطالطية

نظرية التعلم بالاستبصار. ظهرت هذه النظرية كرد فعل على السلوكية التي ترى أن السلوك هو"مثير و استجابة".

تعتمد هذه النظرية على الإدراك الذي هو عملية عقلية معقدة و ليس مجرد مثير واستجابة. تهتم أساسا بالطريقة الصحيحة للإجابة و ليس على الإجابة في حد ذاتها و ذالك لتنمية الفهم و الاستبصار بالقواعد والمبادئ المسؤولة عن الحل مما يزيد فرص انتقالها إلى مشكلات أخرى.

النظرية المعرفية البنائية

من أهم مبادئها هو أن الاستدلال هو الشرط الأساسي لبناء المفاهيم المختلفة حيث يربط العناصر ببعضها البعض .

العملية التعليمية التعلمية هي عملية بنائية تستلزم بنية تحتية معرفية سابقة، و ذاتية داخلية لان التعلم هو الذي يحول المعلومات إلى معارف،و منهجية لأن الطريقة المعتمدة من أهم آليات العملية التعليمية التعلمية و معقدة لأن تتداخل فيها عناصر عدة نفسية و اجتماعية وسياسية و اقتصادية في آن واحد.

خصائص تعليم الكبار

تتعلق هذه الخصائص عند الراشدين عموما بالتجربة ، التحفيز ، الترابط مع الواقع و خصائص أخرى منها:

- المرونة يمتاز هدا النوع من التعليم بالمرونة في جوانب شتى.

- برامج تسمح لكل ملتحق بها أن يختار ما يناسبه دون اشتراط للسن أو للمستوى.

- الشمولية يشمل جميع المراحل العمرية و جميع جوانب الحياة (مهنية ثقافية أو اجتماعية) .

- التكاملية التعليم مدى الحياة.

- تكافؤ الفرص تعليم الكبار مفتوح لكل شرائح المجتمع.

- التنوع كل أنواع التعليم بما فيها التعليم الذاتي و التعليم بالمراسلة....

كيف يتعلم الكبار والصغار؟

- يأتي الكبار إلى التكوين أو التدريب على أساس طوعي فهم غير ملزمون قانونيا للذهاب إلى المدرسة و لكن لديهم مصلحة حيوية في نهجهم هي جعل أنفسهم مستقلين و الحصول على وظيفة للاندماج بسرعة و أفضل ما يمكن في بيئتهم. يتعلمون ما يشعرون أنهم بحاجة إلى معرفته (هل يمكننا وصف نهجهم بأنه طوعي تماما؟)

- قوة تعليم الكبار تكمن في الافتراضية الأساسية الممثلة في كون الكبار يملكون دوافع كبيرة للتعلم لأنهم يشعرون بالحاجة إلى المعرفة و يتفهمون فائدتها التي تنعكس بطريقة مباشرة على تطوير أوضاعهم الاجتماعية، المهنية و الاقتصادية.

- لهم المعرفة و الخبرة.

- يتعلم الكبار بالاعتماد على الحقائق الملموسة.

- هم بحاجة لمعرفة ما يريدون تعليمه.

- يستمر الراشدون في التكوين فقط إذا أدركوا القيمة المضافة .

- لديهم القليل من الوقت و هم في عجلة للحصول على نتائج.

- يريد الراشد تعليما عمليا و موجها نحو هدف معين و متحورا حول مشكلة معينة.

- غالبا ما تكون مجموعات الراشدين في التكوين غير متجانسة (اختلاف في السن و في نوع التكوين...)

يذهب التلميذ الصغير إلى المدرسة مرغما و مجبرا و هو في حاجة إلى التحفيز

للتعلم عن طريق علامات التحصيل والمكافأة والانتقال إلى فصل أعلى

الدماغ عند الطفل في طور النمو وتقبل الاكتساب و له قابلية للتلقي و الفهم الطبيعي الفوري.

عندما بدأ الاهتمام بتعليم الكبار كان النموذج الوحيد المعتمد في تعليمهم هو نموذج تعليم الصغار و قد واجهت المعلمين متاعب كثيرة في الوصول إلى نتائج مرضية في تعليم هذه الفئة من المتعلمين وبدأ الجدال حول نموذج تعليم الصغار على أنه ربما لا يكون مناسبا لتعليم الكبار و أدرك المختصون أن أساليب تعليم الكبار ينبغي أن تختلف عن طرق تعليم الصغار.

نظرية تعليم الصغار ترتكز على المبادئ التالية

- الصغار يتقبلون ما يقال لهم دون تردد.
- الصغار لهم القدرة على التعلم بالإنصات السلبي.
- الصغار لا يحتاجون لربط خبراتهم السابقة بمعارف و مهارات جديدة.
- الصغار لا يحتاجون أن يكون لهم دور في إدارة العملية و التحكم في بيئة التعلم.
- الدماغ عند الطفل في طور النمو و التقبل للاكتساب أي لهم قابلية للتلقي والفهم الطبيعي.

نظرية تعليم الكبار ترتكز على المبادئ التالية

- الكبار يتعلمون بالتطبيق والمشاركة.
- الكبار يملون عند الجلوس بشكل سلبي بفترات طويلة .
- الكبار ليس لهم القدر عل الإنصات السلبي لفترة طويلة.
- الكبار لا يقبلون أفكار الآخرين بسهولة.
- الكبار يتعلمون بسهولة الأشياء التي تفيدهم.
- الكبار يتعلمون الأشياء الجديدة التي يمكن ربطها بخبراتهم السابقة.

الأندراغوجيا

ظهرت في أوروبا المحاولات الأولى لتوحيد مبدأ تعليم الكبار و تمييزه عن نظرية تعليم الصغار(البداغوجيا).

لكن بالرغم من المحاولات العديدة لم يظهر مصطلح الاندراغوجيا إلا سنة 1833 على يد" الكساندر كاب" الذي استعمله لوصف النظرية التربوية لافلاطون.لكن لم يجد كاب صدى كبير لأفكاره . وبالرغم من بعض المحاولات لم يظهر هذا المصطلح إلا سنة 1921 حيث عرض" اوجين روزنتوك" أفكار حول خاصية معلمين الكبار ركز فيها على تدريب هذه الفئة من المدرسين .

ثم ظهرت منشورات و كتب حول الموضوع لكن لن تصل إلى حد التنظير و التطبيق حتى اصدر" مالكوم نولز" (في الولايات المتحدة) سنة 1980كتابا حول التربية والاندراغوجيا و عرفها على أنها نوع من البداغوجيا ترتكز على تعليم الكبار واعتبرها علم تربية الراشدين .

أعاد نولز النظر في طريقة تعليم الكبار و في تكوين معلمين هذه الفئة من المتعلمين و وضع نظرية تعتمد على مجموعة من الافتراضات تعتمد أساسا على خاصية المتعلم البالغ أو الكبير.

تتمثل هذه الافتراضات في ما يلي

1 - مفهوم الذات ينظر البالغ لنفسه ككائن مستقل و ليس مسير.

2 - التجربة كلما نضج الفرد كلما كثرت تجاربه و حولت إلى مصدر عام للتعلم.

3 - الرغبة في التعلم كلما نضج الفرد كلما توجهت قدراته نحو نشطات نمائية مرتبطة بأدواره في المجتمع.

4 - الاتجاه نحو التعلم يفضل الكبار أن يتعلموا ما سيخدمهم على المدى القصير في عملهم أو حياتهم الشخصية.

5 - الدافع يستجيب البالغون بشكل أفضل للدوافع الداخلية أكثر من الحوافز الخارجية.

6 - الاستثمار يرغب البالغون في المشاركة في القرارات المتعلقة بالنظام المعمول به و أساليب تقييم التعليم المقدم لهم.

حدد " مالكوم نولز" بعض المبادئ نجدها مجسدة في التوصيات الخاصة بتعليم الكبار .بالرغم من أن أفكاره لم تصل إلى درجة النظريات الكلاسيكية للتعلم إلا أنها سمحت للمهتمين بالتعليم والمكونين أن يضعوا برامج واستراتجيات لتعليم الكبار.

معلم الكبار

معلم الكبار في حاجة لتدريبات خاصة بالإعداد و التخطيط و التقويم لتدريس الكبار خاصة في مجال محو الأمية وقد وضعت الهيئة العامة لتعليم الكبار معايير جودة أداء المعلم وذالك من خلال المحاور التالية

المحور الأول مسؤولية معلم محو الأمية تجاه الدارسين و يضم أربع معايير

- توفير خبرات التعلم الفعال
- مساعدة الدارسين على حل مشكلاتهم
- تنمية التفكير و توفير فيئه تعليمية جاذبة
- استخدام أساليب تعليمية متنوعة لإثارة الدافعية

المحور الثاني تخطيط المعلم للموقف التعليمي و يضم خمس معايير هي

- تحديد الحاجة التربوية للدارسين
- التخطيط لتحقيق الأهداف
- تصميم الأنشطة التربوية
- تكوين الاتجاهات الايجابية
- التعلم بكفاءة

المحور الثالث المدة التعليمية و المهارات الأساسية للمعلم و يضم ثلاث معايير هي

- التمكن من المادة و مهارات التدريس
- تحقيق التكامل بين محتوى المواد الدراسية
- التمكن من طرق البحث

المحور الرابع أخلاقيات المعلم المهنية و يضم معيارين
- القيم الشخصية
- طبيعة عمل المعلم

المحور الخامس التنمية المهنية للمعلم و يضم معيارين هما
- توفير برامج للتنمية المهنية
- توفير برامج للتنمية الذهنية

المحور السادس المعلم والتقويم ويشمل معيارين هما

- التقويم الذاتي

- التقويم الخارجي للمعلم

الراشد لا يتعلم لتجميع المعلومات بل للاستفادة منها بذلك يجد المعلم لنفسه وظيفة جديدة في هذه العملية فهو لم يعد ذالك الشخص الذي يوجه المعلومات و النصائح باعتباره صاحب السلطة.